الإحباط

دراسةٌ كلاميّة

(الحلقة الثانية)

الشيخ روح الله فروغي(*)

(*) متخصّص في علم الكلام الإسلامي، الحوزة العلميّة / إيران – قم.

الملخّص

من أهمّ المفاهيم الكلامية التي كثر النقاش فيها بين المتكلّمين هو مفهوم الإحباط،، أوالتحابط، أوالحبط، وكثيرًا ما يُقرن بالتكفير فيقال (الإحباط والتكفير)، ويوجد في كثيرٍ من الكتب الكلامية البحث عن الإحباط، وأنّه هل يجوز الإحباط أم لا؟ والمشهور من الشيعة الإمامية عدم القول بالإحباط ويخالف المعتزلة في هذه المسألة وقد استدلّ متكلّمو الشيعة على بطلان الإحباط بأدلةٍ متعدّدةٍ مع الجواب عن الأدلة التي استدلّ بها المعتزلة أو القائلون به من غير المعتزلة، مع تفسير الآيات التي توهم ظواهرها إثبات الإحباط. والبحث عن الإحباط مرتبطٌ بالبحث عن الثواب والعقاب وحقيقتهما.

تقدم في الحلقة الأولى من هذا البحث الكلام عن حقيقة الإحباط، والأقوال فيه، وما أُستدلّ به من الأدلة العقلية في إبطاله، ثم نقد الأدلة التي تقام على إثباته، وقد صلنا في هذا الجزء الثاني (الحلقة الثانية) إلى الأدلّة النقليّة التي أُستدلّ بها لإثبات الإحباط من الآيات الشريفة وهي العمدة في الباب، والروايات المروية عن أهل البيت عليهم السلام، وقد ناقش فيها المتكلّمون وأجابوا عنها، ونذكر الآيات الكريمة مع وجه الاستدلال بها، ثم ننقل الجواب عنه، ثم نذكر في الروايات والمناقشة فيها.

الكلمات المفتاحية: الاحباط، الابطال، الثواب، العقاب،العمل.

القسم الثاني: الآيات الكريمة التي يُستدلّ بها على الإحباط

أمّا القائلون بالإحباط فقد استدلّوا بالآيات الكريمة التي تدلّ بظاهرها على الإحباط، وقد نقلنا هذه الآيات هنا، ثم سنبيّن وجه المناقشة فيها، فالجواب عن هذه الآيات تارةً يشمل جميع الآيات، وأخرى كلّ آيةٍ على حدة.

(١) ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢].

(٢)﴿ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فيهِ قُلْ قِتالٌ فيهِ كَبيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإِخْراجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزالُونَ يُقاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دينِكُمْ إِنِ اسْتَطاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كافِرٌ فَأُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأُولئِكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

(٣) ﴿ أُولئِكَ الَّذينَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرينَ﴾ [آل‌عمران: ٢٢].

(٤) ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ وَطَعامُ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَالْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنينَ غَيْرَ مُسافِحينَ وَلا مُتَّخِذي أَخْدانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإيمانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرينَ﴾ [المائدة: ٥].

(٥) ﴿ وَيَقُولُ الَّذينَ آمَنُوا أَ هؤُلاءِ الَّذينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خاسِرينَ﴾. [المائدة: ٥٣].

(٦)﴿ ذلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدي بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ ما كانُوا

يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

(٧) ﴿ وَالَّذينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا وَلِقاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلاَّ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧].

(٩) ﴿ ما كانَ لِلْمُشْرِكينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَساجِدَ اللَّهِ شاهِدينَ عَلى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خالِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

(١٠) ﴿كَالَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوالًا وَأَوْلادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذي خاضُوا أُولئِكَ حَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ وَأُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾. [التوبة: ٦٩].

(١١) ﴿أُولئِكَ الَّذينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وَباطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦].

(١٢) ﴿أُولئِكَ الَّذينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَلِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَزْنًا﴾. [الكهف: ١٠٥].

(١٣) ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذا جاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذي يُغْشى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمالَهُمْ وَكانَ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسيرًا﴾ [الأحزاب: ١٩].

(١٤) ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

(١٥) ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

(١٦) ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ﴾ [محمد:٢٨].

(١٧) ﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ

الْهُدى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ﴾ [محمد: ٣٢].

الجواب العام عن الاستدلال بالآيات الكريمة

أمّا الجواب عن الاستدلال الآيات بشكلٍ عامّ فيمكن المناقشة في دلالتها كلّها بأنّه:

أولًا: لو كانت الآيات ظاهرةً على الإحباط فلا حجيّة لهذا الظهور بعد إقامة الدليل العقلي على عدم جواز الإحباط؛ لأنّ الظهور دليلٌ ظنيّ، ولا يمكن معارضته للدليل القطعي، بل الدليل العقلي القطعي يقدّم عليه بلا كلام؛ ولهذا تقدّم القرينة القطعيّة على العموم أو الإطلاق. وقد أجاب السيّد بهذا في قوله: «إنّه لو كان لهذه الآيات ظواهر تقتضي بطلان ما ذهبنا إليه من نفي التحابط، لوجب أن تحمل على خلاف ظواهرها، للأدلة العقلية التي لا يحتمل ولا يدخل المجاز»[١]. وكذا الشيخ الطوسي بقوله: «وتعلّقهم بالظواهر نحو قوله... لا يصح لأنّ الظواهر يجب أن تبنى على أدلّة العقول، وقد بيّنا بطلان التحابط، فلو كانت لهذه الآيات ظواهر لوجب حملها على ما يطابق ذلك»[٢]. وقد قُرِّر هذا الوجه ببيانٍ آخر وهو أنّ ظواهر القرآن تبنى على الأدلة العقلية ولا عكس؛ فلا تبنى الأدلّة العقلية على ظواهر القرآن؛ لأنّ الظاهر ممّا يعتريه المجاز والاحتمال، بخلاف الأدلّة العقلية؛ فلو وُجدَ تعارضٌ بين ظاهر الدليل النقلي والدليل العقلي، فيُحكم بتقدّم الثاني على الأول[٣].

---

[١] الشريف المرتضى، الذخيرة فى علم الكلام، ص٣١٢.

[٢] الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص: ١٩٩.

[٣] والردُّ عليهم في تمسُّكهم بهذه الآيات أنْ يقال لهم: «اتَّفقنا نحن وإيَّاكم علىٰ أنَّ ظواهر القرآن ينبغي أنْ تُبنى علىٰ أدلَّة العقول، ولا تُبنى أدلَّة العقول علىٰ القرآن؛ لأنَّ العقل هو الأصل وما عداه فرعه؛ ولأنَّ الكلام يدخله الاحتمال والمجاز والأدلَّة لا تدخلها شيء من ذلك... وإذا كان كذلك، وقد دلَّلنا علىٰ بطلان الإحباط ... وجب صرف ما يرد من القرآن بخلاف ذلك إلى غير ظاهره، وتأويله علىٰ ما يوافق الدليل العقلي». الحمصي، المنقذ من التقليد ج٢، ص: ٧٠.

وثانيًا: بأنّ السيّد المرتضى والشيخ الطوسي يقولان بأنّ هذه الآيات شاهدةٌ على عدم الإحباط؛ لأنّ الإحباط في جميع هذه الآيات يتعلّق بالأعمال مثل قوله تعالى: ﴿**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ**﴾، لكن القائل بالإحباط يعتقد به بالنسبة إلى المستحقّين على الأعمال، فلا يمكن الاستدلال بهذه الآيات على مذهبه، وبعبارة أخرى العمل هو الذي يصدر من الفاعل، فلا معنى لحبطه، بل الثواب عليه هو الذي يتعلّق به الإحباط؛ لأنّه يلحقه السيئة الموجبة لإحباطه. «ولا ظاهر لشيءٍ منها [الآيات]، بل هي شاهدةٌ لمذهبنا؛ لأنّ الإحباط والبطلان في جميعها يتعلّق بالأعمال دون المستحق عليها، والمخالف يقول التحابط بين المستحق عليها»[١]. «ولا ظاهر لها إلاّ وهو إلى أن يشهد بصحة قولنا أقرب؛ لأنّ الإحباط المذكور في جميع الآيات معلّقٌ بالأعمال دون الجزاء عليها، وخصومنا يذهبون إلى التحابط بين الجزاء على الأعمال. فلا شاهد لهم في شيءٍ منها، وإذا أمكننا تأويل هذه الآيات من غير عدول عن ظواهرها كنّا أولى منهم بها»[٢].

وثالثًا: بأنّ المستدلّ بالآيات لا يعرف معنى هذه الآيات؛ لأنّ الإحباط في هذه الآيات ليس بمعنى حبط العمل وتفنيده أو إعدامه، بل بمعنى وقوع العمل على خلاف ما يراد منه، أو على خلاف ما ينتفع به، وهذا المعنى يغاير الإحباط بالمعنى الأول هو إبطال العمل[٣]. وعليه يمكن تفسير الآيات طبقًا لهذه المعنى، فالإحباط في الصدقات بمعنى أنّ الصدقات إذا كانت مع المنّ والأذى، خرجت عن الوجه الذي يستحق معه الثواب، فقيل: بطلت وأحبطت .وكذلك رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ، لو وقع على سبيل الإجابة له والمسارعة إلى امتثال أمره لاستحق به الثواب، وإذا وقع على خلاف ذلك بطل الفعل وانحبط .وكذلك لمن

[١] الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص: ١٩٩.

[٢] الشريف المرتضى، الذخيرة في علم الكلام، ص: ٣١٢.

[٣] انظر: الشريف المرتضى، الذخيرة في علم الكلام، ص: ٣١١.

عبد مع اللّه تعالى شريكًا يوصف عمله بالبطلان والانحباط؛ لأنّه وقع على وجهٍ لا ينتفع به، ولو أخلص العبادة للّه تعالى وأفردها لانتفع بها[١].

الجواب الخاصّ عن الآيات

أمّا الآيات التي أستدلّ بها بخصوصها على الإحباط، وهي ما يلي:

الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**﴾[٢].

قيل في وجه الاستدلال بالآية بأنّ رفع الصوت فوق صوت النبيّ، أو الجهر في الكلام معه (صلوات الله عليه) سببٌ لإحباط الأعمال، أي لا ترفعوا أصواتكم حتى لا تحبط أعمالكم، فلو كانت لهم حسنات وكانوا يرفعون أصواتهم فوق صوت النبي، فهذا يسبب إحباط أعمالهم و بطلانها[٣].

الجواب عن الاستدلال بالآية:

هذه الآية تدلّ على أنّ الإحباط معلّقٌ على العمل الخاص، وهو رفع الصوت فوق صوت النبيّ أو الجهر في الكلام، لكنّ المدعي للإحباط لا يقول بتعليق الإحباط بالعمل؛ بل يقول بتعليق الإحباط على ما يستحقّ بالعمل، وهو المجازاة عليه بمعنى أنّ الذي يحبط هو الجزاء على العمل الصالح، ولا يكون العمل نفسه محبَطًا؛ فلا دلالة في الآية على الإحباط بمعنى الذي وقع الخلاف فيه[٤].

---

[١] انظر: الشريف المرتضى، الذخيرة في علم الكلام، ص: ٣١١؛ الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص: ١٩٩؛ الحمصي، المنقذ من التقليد، ج٢، ص: ٧٠.

[٢] الحجرات:٢

[٣] الطوسي، التبيان، ج٩، ص٣٤٠.

[٤] انظر: الطوسي، التبيان فى تفسير القرآن، ج٩، ص٣٤١.

الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾[١].

هذه الآية لم يذكر فيها الحبط بمادته، لكن معنى الآية يشبه معنى الحبط، وهو إذهاب الحسنات بوساطة السيّئات، فالحسنات يذهبن السيّئات، كما أنّ السيّئات يذهبن الحسنات.

الجواب عن الآية:

وقد أُجيب عن هذه الآية أولاً بأنّ معنى إذهاب السيّئات بالحسنات أنّ إكثار الخيرات والحسنات سببٌ لإيجاد مَلَكةٍ نفسانيةٍ في الإنسان؛ فلا يذهب الإنسان نحو الشرور والسيّئات، فكأنّ الآية في مقام بيان أنّ الدافع النفسانية الناشئة عن فعل الخيرات كثيرًا، يمنع الإنسان عن التوغّل فى السيّئات والقبايح؛ فلا مساس للآية بمسألة الإحباط[٢].

وثانيًا بأنّه من اللازم العدول عن المعنى الظاهر للآية؛ لأنّه لو كانت السيّئات أذهبت الحسنات فلا معنى لإحباط الحسنات أصلاً؛ لأنّه لا يبقى شيءٌ حتى أُحبط؛ لذا يحتاج إلى تقدير محذوفٍ في الكلام، والأصل عدم التقدير في الكلام. لكن لو فسّرنا الآية بأنّ المقصود أنّه لو استكثر الخير وأدمن عليه، فلا يقع في السيّئات لطفًا من الله تعالى، فلا يحتاج هذا الوجه إلى تقدير[٣].

وثالثًا قد فسّر اللاهيجي هذه الآيات بوجهٍ آخر، وهي أنّ الآية: ﴿**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾[٤]، بصدد بيان أنّ الصدقة التي فيها المن والأذى تكون باطلاً؛ لأنّها مشروطة بعدم المن والأذى، وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط أيضًا

[١] هود: ١١٤.

[٢] انظر: الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد، ص: ٢٠٠.

[٣] انظر: الحمّصي، المنقذ من الضلال ص٧٢؛ اللاهيجي، سرمايه ايمان در اصول اعتقادات، ص:١٦٧.

[٤] البقرة: ٢٦٤.

لا بمعنى أنّ الصدقة تكون لها أجر وثواب، ثم إذا يتبعها المن والأذى يكون الثواب والأجر عليها محبَطًا، بل الصدقة التي لم يُراعَ فيها شرطها تكون باطلاً من أول الأمر. وكذلك قوله تعالى: ﴿**لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمالُكُمْ**﴾[١]. بمعنى أنّ الحضور فى مجلس النبي واستماع كلامه ﷺ من أعظم الأعمال أجرًا، لكنّه مشروطٌ برعاية التأدّب عنده؛ فلذا لو لم يراعَ التأدّب ورفع صوته فوق صوت النبيّ، فيبطل بهذا الثواب له واستحقّ العقاب، لا أنّ الحضور في مجلس النبيّ سببٌ للثواب، ثم رفع الصوت فوق صوت النبي سبب لإحباطه[٢].

الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿**كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾[٣]. تدلّ الآية على أنّ الذين كفروا بعد إيمانهم فهذا الكفر منهم سببٌ لإحباط أعمالهم، ولا يمكن هدايتهم فى ما بعد.

الجواب عن الاستدلال بالآية:

أولاً بأنّه لا يُذكر في الآية مسألة الإحباط، بل يُذكر في الآية عدم الهداية لو استمرّ الكفر بعد الإيمان، ولا ربط لها بالإحباط. وثانيًا هذه الآية تشير إلى النفاق، ومعناه أنّ قومًا ممّن أسلموا فبعد إظهار الإيمان والشهادة بحقانية الرسول، استبطنوا كفرهم، وهؤلاء الذين كانوا منافقين لا يمكن هدايتهم أصلاً، فالمنافق لا يكون مستحقًّا للثواب من أول الأمر حتى يصدق الإحباط بالنسبة إليه[٤].

[١] الحجرات: ٢.

[٢] انظر: اللاهيجي، سرمايه ايمان در اصول اعتقادات، ص: ١٦٧.

[٣] آل عمران: ٨٦.

[٤] انظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٢، ص٥١٢.

الآية الرابعة: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

الآية ظاهرةٌ في أنّ الشرك سببٌ لحبط الأعمال التي يعملونها من قبل، والقائلون بالإحباط يقولون بأنّ ارتكاب الذنوب والسيّئات سببٌ لحبط الأعمال الحسنة السابقة.

الجواب عن الاستدلال بالآية:

قد نوقش فيها بأنّ العمل الذي يكون شركًا، لا استحقاق للثواب عليها أصلاً، لا أنّه يستحقّ عليه الثواب، ثم الشرك سبب لاحباطه فالآية تدلّ على أنّ الشرك يمنع عن استحقاق الثواب على الحسنات والخيرات، فلا دلالة في الآية على الإحباط، وهذا ممّا أجمعت عليه الأمة، بأنّ المشرك لا ثواب له على عمله، بل يجب في العبادة أن تكون خالصةً لوجه الله وتكون قربية[٢].

الآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ﴾[٣].

وجه الاستدلال بالآية أنّ الإضلال هو الإهلاك، كما يقال أَضَلَّه، أَي أَضاعه، وأَهلكه[٤]. وإهلاك الأعمال هو الإحباط، فالآية الشريفة أوعدت بإهلاك أعمال الكافرين.

الجواب عن الاستدلال بالآية:

قد نوقش في الاستدلال بالآية بأنّ الإضلال في الأعمال هو حكم الله تعالى على عدول الأعمال عن الحق والاستقامة؛ لأنّه ليس مطابقًا للهداية الإلهية، ولا يرشد عامله على الخير والسعادة، والفعل الذي يحكم الله بضلاله بمنزلة ما لم يعمل

[١] الأنعام: ٨٨.

[٢] انظر: الطوسي، التبيان في تفسير القران،ج٤، ص١٩٧.

[٣] محمد :١.

[٤] ابن منظور، لسان العرب، ج١١، ص٣٩٣.

أصلاً، فلا تدلّ الآية على الإحباط [١].

الآية السادسة: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ﴾[٢]. أُستدلّ بأنّ الآية ظاهرةٌ في أنّ الشرك سببٌ للإحباط والخسران، وهذا يدلّ على الإحباط .

الجواب عن الآية:

وقد قيل في الجواب عن الاستدلال بأنّ الآية لا تدلّ على الإحباط؛ لأنّ معنى الآية أنّ الشرك بالله في العبادة أوقع العبادة على وجه لا تستحقّ الثواب؛ لأنّ العبادة تلزم أن تكون مع الإخلاص لله تعالى، ولو كانت العبادة خالصةً لوجهه لاستحقّ عليها الثواب. فالشرك فيها ينحرف العبادة عن وجهها فلا يستحقّ عليها الثواب؛ ولذلك توصف العبادة المقرونة بالشرك بأنّها محبطة، وقوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾، معناه أخلصْ عبادتك له تعالى دون غيره[٣].

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[٤].

قيل إنّ الآية تدلّ على أنّ المراد من إرادة الله بعدم جعل الحظ والنفع في الآخرة، إحباط أعمالهم؛ لأنّ من أحبطت أعماله، فلا يكون له في الآخرة حظ، وهذا هو معنى الإحباط [٥].

[١] انظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ٩٢٨.

[٢] الزمر: ٦٥.

[٣] انظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٩، ص: ٤٤.

[٤] آل‌عمران :١٧٦.

[٥] انظر: الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٣، ص: ٥٦.

الجواب عن الآية:

يمكن تفسير الآية الكريمة بما لا يلائم الإحباط ؛ لأنّ معنى الآية هي إرادة الله أن يحرمهم من الثواب، وإذا فسّرت الآية هكذا فلا دلالة فيها على الإحباط. «والثاني أنّ اللّه يريد أن يحكم بحرمان ثوابهم الذي عرضوا له بتكليفهم، وهو الذي يليق بمذهبنا؛ لأنّ الإحباط عندنا ليس بصحيح»[١].

القسم الثالث: الروايات التي أُستدلّ بها على الإحباط

وقد أُستدلّ لإثبات الإحباط ببعض الروايات الواردة من الأئمّة الأطهار عليهم السلام:

الأول: روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾[٢]. فقال: «أما والله لقد كانوا يُصَلُّون، أمَا والله لقد كانوا يصومون، ولكن كانوا إذا عرض عليهم الحرام أخذوه»[٣].

الثاني: «إذا كان يوم القيامة يَقْدِمُ قومٌ على الله فلا يجدون لهم حسنات، فيقولون: إلهنا وسيِّدنا ما فعلت حسناتنا؟ فيقول تعالىٰ: أكلتها الغيبة، إنَّ الغيبة تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»[٤].

---

[١] م.ن، ج٣، ص: ٥٦.

[٢] الفرقان :٢٣.

[٣] الحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الدَّيْلَمِيُّ فِي إِرْشَادِ الْقُلُوبِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَفَعَهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: «أَنَّ قَوْمًا يَجِيئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا، ثُمَّ يُؤْمَرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ، فَقَالَ سَلْمَانُ: صَفْهُمْ لَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ قَدْ كَانُوا يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَأْخُذُونَ أُهْبَةً مِنَ اللَّيْلِ وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا عُرِضَ لَهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَرَامِ وَثَبُوا عَلَيْهِ».

[٤] الشَّيْخُ الْمُفِيدُ فِي الرَّوْضَةِ، عَنِ الْبَاقِرِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَقْبَلَ قَوْمٌ عَلَى اللَّهِ (عَزَّ وَجَلَّ) فَلَا يَجِدُونَ لِأَنْفُسِهِمْ حَسَنَاتٍ؛ فَيَقُولُونَ إِلَهَنَا وَسَيِّدَنَا مَا فَعَلْتَ حَسَنَاتِنَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ): أَكَلَتْهَا الْغِيبَةُ إِنَّ الْغِيبَةَ تَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَلْفَاءَ». مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ج٩، ص، ١٢٤.

الجواب: أجاب الشيخ الطوسي عن هذه الأخبار بقوله: «هذه أخبار آحادٌ لا تُرَدُّ لها أدلَّة العقول الدالَّة على بطلان التحابط. ولو صحَّت لتأوَّلناها كما نتأوَّل ظاهر القرآن لتلائم أدلَّة العقل، فيكون قوله: ﴿**فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا**﴾، معناه حكمهم بذلك لأنَّهم أوقعوها على خلاف الوجه المأمور به، فلم يستحقُّوا ثوابًا، لا أنَّه حصل الثواب ثمّ زال، ويكون قوله: «لقد كانوا يصومون ويُصَلُّون»، محمولاً على أنَّهم كانوا يفعلون ذلك على خلاف الوجه المأمور كما يفعله رهبان النصارىٰ وعُبَّاد اليهود، فلا ينفعهم مع فعلهم ما حرَّم الله عليهم من تكذيب النبيِّ؛ لأنَّه إذا كان ذلك كفرًا دلَّ على [أنَّ] ما فعلوه لم يكن واقعًا على وجه القربة»[١].

الثالث: «أكلت الغيبة حسناتكم...»، وقد أجاب عنه الشيخ أيضا بقوله: «المعنى فيه أنَّه إذا فعل إنسانٌ طاعةً، وذكر أنَّ غيره ليس يفعل ذلك صار بذلك مغتابًا له، وموقعًا لفعله على وجه الرياء؛ فلذلك لم يستحقّ عليها الثواب، لا أنَّ الثواب كان حاصلاً فأزالته الغيبة»[٢].

الرابع: «عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ قَالَ: كَانَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ، وَمَعَهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَأَصَابَ مِنْ جَارِيَةٍ لَهُ، فَأَمَرَهَا فَغَسَلَتْ جَسَدَهَا، وَتَرَكَتْ رَأْسَهَا، وَقَالَ لَهَا: إِذَا أَرَدْتِ أَنْ تَرْكَبِي فَاغْسِلِي رَأْسَكِ، فَفَعَلَتْ ذَلِكَ فَعَلِمَتْ بِذَلِكَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَحَلَقَتْ رَأْسَهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنْ قَابِلٍ انْتَهَى أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام إِلَى ذَلِكَ الْمَكَانِ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ: أَيُّ مَوْضِعٍ هَذَا؟ قَالَ لَهَا: هَذَا الْمَوْضِعُ الَّذِي أَحْبَطَ اللَّهُ فِيهِ حَجَّكِ عَامَ أَوَّلَ»[٣].

والجواب عن الرواية أنّها تدلّ على عدم إتيان المكلّف الفعل بجميع شرائطه؛ ولهذا عبرّ الإمام عليه السلام بالإحباط.

---

[١] الطوسي، الرسائل العشر، ص٣٢٥.

[٢] م.ن، ص ٣٢٥.

[٣] الطوسي، تهذيب الأحكام، ج١، ص، ١٣٤.

الخامس: من دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام: «وطوّقني طوق الإقلاع عمّا يحبط الحسنات، ويذهب بالبركات، واشعر قلبي الازدجار عن قبائح السّيّئات، وفواضح الحوبات، ولا تشغلني بما لا أدركه إلّا بك عمّا لا يرضيك عني غيره»[١].

والجواب عنه: «أنّ معنى الإقلاع عمّا يحبط الحسنات: الإقلاع عما يفوّت ثواب الحسنات، وهو فعلها على الوجه الذي لا ينتهض سببًا للثواب، فكأنّه يحبطها، ويبطل ثوابها»[٢].

السادس: وتوجد روايات قد عُبّر فيها بالإحباط، لكنه إمّا للإرشاد إلى المنقصة، أو بمعنى عدم الإتيان بالشرائط المأخوذة في العمل أو غيرها من التأويلات:

١-عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «أَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ أَنْ يُسَلِّمَ لِمَا قَضَى اللَّهُ (عَزَّ وَجَلَّ) مَنْ عَرَفَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَضَاءِ؛ أَتَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَعَظَّمَ اللَّهُ أَجْرَهُ، وَمَنْ سَخِطَ الْقَضَاءَ؛ مَضَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَأَحْبَطَ اللَّهُ أَجْرَه»[٣].

٢- «مَنْ شَكَّ أَوْ ظَنَّ، وَأَقَامَ عَلَى أَحَدِهِمَا أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، إِنَّ حُجَّةَ اللَّهِ هِيَ الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ»[٤].

٣-«... مَنْ صَبَرَ وَاسْتَرْجَعَ وَحَمِدَ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ)، فَقَدْ رَضِيَ بِمَا صَنَعَ اللَّهُ، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ جَرَى عَلَيْهِ الْقَضَاءُ، وَهُوَ ذَمِيمٌ وَ أَحْبَطَ اللَّهُ تَعَالَى أَجْرَهُ»[٥].

[١] الصحيفة السجادية الكاملة، ص ٢٦٧.

[٢] المدني، رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين، ج٧، ص، ٧٣.

[٣] الكليني، الكافي، دار الكتب الإسلامية، ج٢، ص٦٢.

[٤] م.ن، ج٢، ص٤٠٠.

[٥] م.ن، ج٣، ص، ٢٢٣.

٤- «مَنْ ظَلَمَ أَجِيراً أَجْرَهُ أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وحَرَّمَ عَلَيْهِ رِيحَ الْجَنَّةِ»[١].

٥-«مَنِ اصْطَنَعَ إِلَى أَخِيهِ مَعْرُوفًا فَامْتَنَّ بِهِ، أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَثَبَّتَ وِزْرَهُ، وَلَمْ يَشْكُرْ لَهُ سَعْيَه»[٢].

٦-«مَنْ نَكَحَ امْرَأَةً حَرَامًا فِي دُبُرِهَا، أَوْ رَجُلاً، أَوْ غُلَامًا حَشَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْتَنَ مِنَ الْجِيفَةِ، يَتَأَذَّى بِهِ النَّاسُ حَتَّى يَدْخُلَ جَهَنَّمَ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صِدْقًا وَلَا عَدْلاً، وَأَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَه»[٣].

٧-«مَنْ رَمَى مُحْصَنًا أَوْ مُحْصَنَةً أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَجَلَدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك»[٤].

٨-«مَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَةٍ، فَقَدْ أَحْبَطَ أَجْرَهُ» [٥].

٩- «مَنْ سَلَّمَ عَلَى شَارِبِ الْخَمْرِ، أَوْ عَانَقَهُ، أَوْ صَافَحَهُ، أَحْبَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً»[٦].

١٠-«مَنْ سَعَى بِأَخِيهِ إِلَى سُلْطَانٍ وَلَمْ يَنَلْهُ مِنْهُ سُوءٌ وَلَا مَكْرُوهٌ، أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَه»[٧].

١١-«مَنْ أَبَى الْفَرَائِضَ فَقَدْ أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَا حُجَّةَ لَهُ عِنْدَه»[٨].

١٢- «مَنْ أَعْجَبَ بِعَمَلِهِ أَحْبَطَ أَجْرَهُ»[٩].

---

[١] ابن بابويه، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص١٢.

[٢] م.ن، ج٤، ص١٧.

[٣] ابن بابويه، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص٢٨٢.

[٤] م.ن، ص٢٨٥.

[٥] التميمى الآمدي، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، ص٢٦٢.

[٦] الشعيري، جامع الأخبار، ص١٥٢.

[٧] الشيخ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٧، ص١٨١.

[٨] المجلسي، بحار الأنوار، بيروت، ج٢٢، ص٢٩٢.

[٩] الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص٤٤٩.

الخاتمة

كانت مسألة الإحباط من المسائل التي دار النقاش حولها بشكلٍ واسع، وقد أثبتته المعتزلة، ونفتها الأشاعرة و الإمامية، وقد استدل كلٌّ من الطائفتين بأدلةٍ متعددة عقليةٍ أو نقلية، وأجابت عن الأدلة الطائفة الأخرى، ومحصل القول في الإحباط عندنا بأنّ الدلائل العقلية قامت على عدم الإحباط، والآيات التي وردت حولها يمكن تفسيرها بما لا تدلّ على الإحباط، وهو أنّ العمل لو صدر غير مطابقٍ للمأمور به فلا يستحقّ عليه المدح؛ لأنّ تطبيق المأمور به مع المأتي عنه لازمٌ في الامتثال وسقوط التكليف، وقد عبّر عن عدم إتيان الفعل على الوجه الذي أُمر به بالإحباط، واللازم حمل الآيات الشريفة على هذا الأمر. وكذلك الروايات لا تدلّ على وجود الإحباط، فالصحيح عدم الإحباط كما هو مقالة الشيعة وغيرها.

المصادر

١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار الفكر.
٢. الأشعري، ابو الحسن، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ويسبادن (ألمانيا)، فرانس شتاينر، ١٤٠٠ ق.
٣. البحراني، ميثم بن علي بن ميثم، قواعد المرام في علم الكلام، قم، مكتبة السيد المرعشي، ١٤٠٦ هـ.
٤. الحلي (العلاّمة)، الحسن بن يوسف بن المطهّر، أنوار الملكوت في شرح الياقوت، بيروت، دار المحجة البيضاء، ١٤٣٢ هـ.
٥. _____، الرسالة السعدية، قم، مكتبة السيد المرعشي، ١٤١٠هـ.
٦. _____، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٣٣هـ.
٧. الحلي (المحقّق)، نجم الدين جعفر بن الحسن، المسلك في أصول الدين، مشهد، العتبة الرضوية، ١٤١٤ هـ.
٨. الحمّصي الرازي، سديد الدين محمود، المنقذ من التقليد، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ.
٩. السبحاني، جعفر، الإلهيات على هدى الكتاب والسنّة والعقل، قم، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، ١٤١٢ ق.
١٠. _____، بحوث في الملل والنحل، قم، مؤسسة النشر الإسلامي - مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام.
١١. السيوري، الفاضل المقداد بن عبد الله، إرشاد الطالبين، الطبعة الثانية، قم، مكتبة المرعشي، ٢٠١٢م.
١٢. _____، النافع يوم الحشر، قم، مؤسسة المعارف الإسلامية.
١٣. _____، اللوامع الإلهية، قم، مؤسسة بوستان كتاب، ١٤٢٩هـ.
١٤. الشيرازي، سيد علي خان مدني، رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين، قم، دفتر انتشارات اسلامى، ١٤٠٩ ق.
١٥. الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الاعتقادات، الطبعة الأولى، قم، مؤسسة الإمام الهادي عليه السلام، ١٤٣٣هـ.
١٦. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، قم، مكتبة النشر الإسلامي، ١٤١٧ ق.
١٧. الطوسي، محمد بن الحسن، الاقتصاد فيما يتعلّق بالاعتقاد، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٦هـ.

١٨. _____، التبيان في تفسير القرآن، (نسخة برنامج مكتبة أهل البيت الالكترونية).
١٩. _____، تمهيد الأصول في علم الكلام، طهران، منشورات جامعة طهران، ١٣٦٢ ش.
٢٠. الطوسي، نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن، تجريد الاعتقاد، الطبعة الأولى، قم، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٧ هـ.
٢١. _____، تلخيص المحصل، الطبعة الثانية، بيروت، دار الأضواء، ١٤٠٥هـ.
٢٢. العبيدلي، عميد الدين عبد المطلب بن مجد الدين الحسيني، إشراق اللاهوت في نقد شرح الياقوت، طهران، مركز ميراث مكتوب، ١٣٨١ ش.
٢٣. فياض اللاهيجى، عبد الرزاق، سرمايه ايمان در اصول اعتقادات، تهران، انتشارات الزهراء، ١٣٧٢ ش.
٢٤. القاضي عبد الجبار، قوام الدين مانكديم، شرح الأصول الخمسة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢ ق.
٢٥. المرتضى، علي بن الحسين بن موسى، الانتصار، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.
٢٦. _____، الذخيرة في علم الكلام، قم، مؤسسة النشر الإسلامي.
٢٧. _____، الملخّص في أصول الدين، الطبعة الأولى، طهران، مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، ١٣٨١ ش.
٢٨. _____، شرح جمل العلم والعمل، قم، دار الأسوة، ١٤١٩هـ.
٢٩. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، قم، دار المفيد، ١٤٣١هـ.
٣٠. _____، الإعلام بما اتفقت عليه الإمامية، قم، دار المفيد، ١٤٣١هـ.
٣١. _____، المسائل السروية، قم، المؤتمر العالمي للشيخ المفيد، ١٤١٣ ق.
٣٢. _____، المسائل العكبرية، قم، دار المفيد، ١٤٣١هـ.
٣٣. _____، أوائل المقالات، قم، دار المفيد، ١٤٣١ هـ.
٣٤. _____، تصحيح اعتقادات الإمامية، قم، دار المفيد، ١٤٣١هـ.
٣٥. النوبختي، إسحاق بن إبراهيم، الياقوت في علم الكلام، قم، مكتبة السيد المرعشي، ٢٠٠٧م.
٣٦. _____، الحسن بن موسى، فرق الشيعة، النجف، منشورات المكتبة المرتضوية.
٣٧. النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، بيروت، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٨ق.